بسم الله الرحمن الرحيم

«مستقبل اللغة العربية ومتطلبات العصر القادم»

الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيّد (*)

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مستقبل اللغة العربية في العصر القادم، وأن نقف على بعض من خصائص هذا العصر وتحدياته، ومن ثمَّ نبيِّن ما الذي تفرضه علينا طبيعة العصر تجاه لغتنا لمواجهة التحديات وتجاوز السلبيات؟

أولاً- ما مستقبل اللغة العربية؟

طُرح هذا السؤال في العقد الثالث من القرن الماضي، وأجابت عنه كوكبة من رجالات الفكر، وما يزال هذا السؤال مطروحاً في أيامنا في أجواء تشير إلى أن ثمة لغات تنقرض سنويًّا على الصعيد العالمي، وأن المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» تحذِّر المجتمع الدولي من خطورة انقراض عدد من اللغات الأم، الأمر الذي دعاها إلى تخصيص اليوم العالمي للاحتفال باللغة الأم في الحادي والعشرين من شهر شباط «فبراير» من كل عام، كي تقوم المجتمعات بالحفاظ على لغاتها عنواناً لشخصياتها، ورمزاً لذاتياتها الثقافية، في ضوء ما اعتمدته المنظمة الدولية

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

من الأخذ بالتعدد الثقافي والتنوع اللغوي.

ويرى نفر من المفكرين أن اللغة العربية ستبقى في المستقبل محافظة على كيانها، ولن تعرف الأفول والانقراض مادام القرآن الكريم حارساً لها، ومحافظاً عليها، فها هو ذا جول فرن، الكاتب القاصُّ الفرنسي، ذو الخيال العلمي، يقول في إحدى قصصه: «إن قوماً اخترقوا باطن الكرة الأرضية، وخطر لهم أن يتركوا هنالك أثراً يدل على مبلغ وصولهم، فتركوا هنالك حجراً نُقشت عليه عبارة باللغة العربية. ولما سألوا جول فرن: لماذا اخترت اللغة العربية من بين اللغات العالمية كافة؟ أجاب: لأنها لغة المستقبل، ولاشك أنه سيموت غيرها في حين تبقى هي حية حتى يُرفع القرآن نفسه»[١].

ولقد أشار الأديب مصطفى صادق الرافعي إلى هذا الأمر نفسه عندما قال: «إن اللغة العربية تمتاز على اللغات كافة بارتباطها بالأصلين العظيمين الخالدين القرآن والحديث، وليس يخفى أن الكيان الإنساني قائم على القوى الأدبية، وأصل هذه القوى في العالم الإسلامي هو القرآن، وهو كذلك أصبح من وجوه كثيرة كأنه أصل اللغة»[٢].

ونحا جبر ضومط عضو المجمع العلمي العربي بدمشق والأستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت المنحى نفسه في الإشارة إلى الترابط بين اللغة العربية والقرآن والحديث النبوي، إذ يقول: «في كل اللغات الراقية لهجات عامية مختلفة، ولكن اللغة الفصحى لغة المعلمين والمتعلمين، وهي لغة المدارس والجرائد والكتب، وإذا بقي الإسلام وسيبقى، فلغة القرآن الكريم والحديث النبوي وسائر الآداب العربية منذ

(١) محمد الخضر حسين- دراسات في العربية وتاريخها- الناشر المكتب الإسلامي- مكتبة دار الفتح- المطبعة التعاونية في دمشق- دمشق ١٩٦٠ ص١٤.

عهد الرسول إلى اليوم أقوى من سائر اللغات الأوربية على هضم اللهجات العامية المختلفة. ولذلك فستبقى هذه اللغة الشريفة كما كانت لغة العلم والمتعلمين والأدباء والمتأدبين، ولغة الصحافة والمؤلفين إلى ما شاء الله»[٣].

وكان الشاعر خليل مطران أديب القطرين السوري والمصري قد أكد هذا الترابط في استمرارية اللغة العربية الفصحى لعلاقتها بالقرآن الكريم عندما قال: «لا تنسَ أن الاستمرار في تعلم الفصحى وتعليمها والاهتمام بتسهيلها وتقريبها وتعميمها هو أنها لغة القرآن الشريف، وكفى بهذا بياناً لقوم مبصرين!»[٤].

ولم تقتصر الإشادة بمستقبل العربية على أبناء العربية وحدهم، وإنما أقرّ بذلك المستقبل لها عدد من المستشرقين الأجانب، فها هو ذا المستشرق الأمريكي «رتشرد كوتهيل» الأستاذ في جامعة كولمبيا يقول: «كان للعربية ماض مجيد، وفي مذهبي أنه سيكون لها مستقبل باهر». ويعلل ذلك قائلاً: «إن شعباً له آداب غنية متنوعة كالآداب العربية، ولغة لينة مرنة ذات مادة، تكاد لا تفنى، لا يخون ماضيه، ولا ينبذ إرثاً، اتصل إليه بعد قرون طويلة عن آبائه وأجداده»[٥].

وذهب المستشرق الأمريكي «وليم ورل» مدير مدرسة المباحث الشرقية الأمريكية في القدس سابقاً المذهب نفسه في الإجابة عن سؤال مستقبل اللغة العربية، إذ يقول: «أما سؤالكم عن مستقبل اللغة العربية فالجواب عليه أن هذه اللغة لم تتقهقر

(٣) المرجع السابق ص٢٤.

(٤) المرجع السابق ص١٩.

(٥) المرجع السابق ص٩.

قط فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وينتظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت عليه في الماضي»[٦].

ويعلّل رأيه بأن للغة العربية ليناً ومرونة يمكّنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات هذا العصر، وليس من شك في أنه متى سنحت لها الظروف فإنها تستطيع أن تبلغ درجة من الدقة والرقي، تمكّنها من التعبير عن أسمى الأغراض العلمية.

وإذا كانت الآراء السابقة تتجه إلى تأكيد استمرارية اللغة العربية في المستقبل فإن ثمة سنة من سنن الكون في سقوط اللغة، كان قد أشار إليها «ابن حزم» في كتاب «الإحكام» عندما قال: «إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل، بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو تنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوةُ دولتها، ونشاطُ أهلها وفراغُهم. وأما من تلِفَتْ دولتهم، وغلب عليهم عدوّهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخاطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم؛ هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل والضرورة»[٧].

والواقع أن ما هو موجود بالمشاهدة يدل على أن ثمة استبعاداً للعربية وتهميشاً لها في العملية التعليمية التعلمية في معظم جامعات الوطن العربي، إذ إن اللغة الفرنسية هي المهيمنة في جامعات المغرب العربي، واللغة الإنجليزية هي المهيمنة في جامعات الخليج العربي.

(٦) المرجع السابق ص١٥.

(٧) المرجع السابق ص٢١.

كـما أن إتقـان الأجنبيـة شرط للتعيـين في القطـاع الخـاص، وفي المؤسـسات الخدمية والسياحية في أغلب بقاع الوطن العربي، ولم تشتمل شروط التعيين على إتقان اللغة العربية.

وما هو موجود بالمشاهدة أيضاً أن ثمة غياباً للعربية على ألسنة معظم ممثِّلي الدول العربية في المحافل الدولية، مع أن العربية معتمدة لغة رسمية في هذه المحافل.

ولِمَ نذهب بعيداً فها هي ذي اللافتات والإعلانات والتسميات على واجهات المحال التجارية تنطق بالأجنبية، وها هم أولاء العاملون على الأرض العربية، يتحدثون بلغاتهم وبالأجنبية، ولا يعملون على تعلم لغتنا، ماداموا يقضون حاجاتهم ومتطلباتهم في منأى عنها!.

وإذا ظلت الأمور تسير على هذا المنوال فإن مستقبل العربية في خطر، ولا يكفي أن تكون لغة عبادة، بل نريدها لغة الحياة في جميع جوانبها وميادينها مادامت اللغة الأم والوطن الروحي للأمة ومستودع تراثها والموحِّدة والموحَّدة، وما دامت سماتها وخصائصها تؤهلها للاستمرار، إلا أن من سمات العصر القادم التغير المستمر، وتلك هي سمة من سماته البارزة، فهل تستجيب العربية لخصائص العصر القادم وتواجه تحدياته؟ وهنا لابد أن نتعرف بعضاً من تلك الخصائص والسمات والتحديات، لنتبين من ثمَّ كيف يمكن للعربية أن تواجه تلك التحديات حفاظاً على بقائها واستمرارها.

ثانياً- من خصائص العصر القادم

إن العصر القادم يتسم بسمات متعددة منها أنه عصر التفجر المعرفي والتطور السريع، وإذا كانت المعارف من قبلُ تحتاج إلى مئات السنين حتى تتضاعف فإنها تتضاعف في أيامنا خلال شهور، وستستمر عملية التفجر المعرفي في العصر القادم، وستزداد وتيرة تفجرها ازدياداً عالياً، فلقد أشارت إحصاءات المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» إلى أن المعارف تضاعفت بين عام الميلاد و١٠٠٠، ثم تضاعفت بين ١٠٠٠ و١٥٠٠، وتضاعفت بين ١٥٠٠ و١٨٠٠ وتضاعفت بين ١٨٠٠ و١٩٠٠، كما تضاعفت بين ١٩٠٠ و١٩٤٥ ثم بين ١٩٤٥ و١٩٦٠ وبعدها بين ١٩٦٠ و١٩٦٨ إلى أن وصلت حاليًّا إلى عدة شهور.

وهكذا يتبين أن المدة التي كان يستغرقها التفجر من قبلُ كانت تزيد على مئات السنين ثم بدأت تتناقص إلى أن وصلت إلى أقل من عشر سنوات، ومن ثم إلى عدة شهور.

ومن سمات العصر القادم أنه عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا)، ويشهد العصر القادم تغيراً مستمراً ومتسارعاً في مجال التقانة، ومن ذلك أن واجهة المستخدم الحالي في التقانة قد بدأت في التغير، وستحل في المستقبل القريب واجهات جديدة مصممة للتعامل مع الأجهزة النقالة خاصة محل الواجهات الحالية التي تتضمن النوافذ، والأيقونات، والقوائم، والمؤشرات، حيث ستحل الواجهات الجديدة باللمس، وحركات اليد، والصوت، والفيديو، وسوف تتحول التطبيقات إلى تطبيقات أكثر تركيزاً وبساطة، ويمكن تجميعها في حلول أكثر تعقيداً. وهذه

التغييرات سوف تدفع إلى الحاجة إلى مهارات جديدة لدى تصميم واجهة المستخدم.

وثمة أجيال جديدة من أنظمة التحليل لتوقع المستقبل، وإنَّ ضخامة البيانات في المستقبل لن تسمح للمستخدمين بوضع جميع المعلومات المفيدة في مستودع بيانات واحد. وسينشأ نموذج جديد هو مستودعات البيانات المنطقية التي ستستقي بياناتها من مصادر مختلفة للمعلومات. وستشهد تقانة المعلومات والاتصالات تطوراً كبيراً، إن على مستوى الأفكار الإبداعية، أو فلسفة العمل، أو النماذج التقانية المختلفة(٨).

ومن سمات العصر القادم أيضاً أنه عصر المزاوجة بين العلم والعمل، والنظرية والتطبيق، وذلك في مختلف ميادين المعرفة، كما أنه عصر الاتصال السريع، وما يترتب عليه من إزالة الحواجز بين المجتمعات والتأثر بالتيارات الثقافية المعاصرة وبالتيارات الفكرية والسياسية الجارية، وأن ثمة تناغماً بين أنظمته السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية...إلخ.

ومن سمات العصر أيضاً أنه عصر الدعاية والإعلان والإعلام، وأن الدول المتقدمة تنفق على إعلامها مبالغ طائلة، وتجند لخدمة أغراضها وأهدافها ومشروعاتها أساليب وطرائق لم تكن تعرفها المجتمعات من قبلُ، وأنها تتخذ الديمقراطية وحقوق الإنسان شعاراً لها في تنفيذ مراميها وأغراضها في الهيمنة على الشعوب المستضعفة وابتزازها، وهي كلمة حق أريد بها باطل!

(٨) المهندس عبد الله عيسى- أهم عشر تقانات استراتيجية- مجلة المعلوماتية الصادرة عن الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية- السنة السابعة كانون الثاني ٢٠١٢- العدد٧١- دمشق ص١٩.

ويتسم العصر القادم أيضاً بأنه عصر التغير الاجتماعي السريع في العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم الاجتماعية والمعنوية، وأن ثمة طغياناً للمادة فيه على القيم الروحية، وطغياناً لقيم الاستهلاك على القيم المعنوية.

ولابد من الإشارة أخيراً إلى أن من سمات العصر القادم الابتكار والتجديد، وإذا كنا قد شاهدنا في نهاية العقد الأخير من القرن الماضي وفي العقد الأول من قرننا الحالي ثورات في مجالات متعددة واكتشافات علمية، إن في السماء أو في أغوار المحيطات، فإن العصر القادم سيحمل مفاجآت متعددة في جميع مجالات الحياة والميادين العلمية.

ثالثاً– اللغة العربية ومتطلبات مواجهة العصر القادم

لما كان العصر القادم متغيراً باستمرار، ومتفجراً بمعارفه وتقاناته ولا بقاء فيه إلا للأقوياء بلغاتهم ومعارفهم، والمهيمنين بثقافتهم وإعلامهم، ومضطرباً بمعاييره وقيمه، كان على الأمة العربية، كي يكون للغتها البقاء والاستمرارية، ومواجهة تحديات هذا العصر، أن تعمل على:

١- حسم موضوع التعريب

إن التسويف في تطبيق التعريب على نطاق الساحة العربية، والتلكؤ في اعتماد العربية لغة تدريس في الكليات العلمية في جامعات الوطن العربي، أمر يحتاج إلى إصدار القرار السياسي اللازم، إذ لا مسوّغ إطلاقاً لهذا التريث وذلك التسويف. وسيبقى الفكر العربي ناقصاً وغريباً إذا لم يُقرأ، ويُكتب، ويُفكر فيه بالعربية، ذلك لأنه لا يتم فكر من غير لغة ذاتية له، ولا علم دون لغة تعبير ذاتية له. ولغتنا العربية، بما

تتسم به من سمات الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب، مهيأة لمواكبة روح العصر، وتعليم علومه كافة بها، إذ إن ما تمتاز به من غزارة الاشتقاق، وفيض التصريف في أفعالها وأسمائها، جعلها تستوعب مصطلحات جديدة من غير أن تنزل عن أصولها وقواعدها ونظامها، ومن ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته(٩).

ولا يقتصر الأمر على دراسة العلوم مَوادَّ، وإنما لابد من دراستها طريقةً وتفكيراً وأسلوباً، مادام العصر هو عصر العلم، ومادامت اللغة هي وعاء الفكر.

٢- وضع قوانين لحماية اللغة العربية

إذا أردنا للغة العربية أن يكون لها مستقبل باهر ومكانة في العصر القادم فما على الدول العربية كافة إلا أن تصدر القوانين لحماية اللغة العربية، إذ إن للغة حدوداً، كما للوطن حدود، لابد من حمايتها من عبث العابثين، وتجاوزات المعتدين. فإذا لم يكن الإحساس بالانتماء والوعي اللغوي متوفرين لدى الفرد، واستهان بلغته الأم، وكان عاقًّا تجاهها، فإن القوانين الرادعة هي التي تضع حدًّا لهذه الشريحة من أبناء الأمة، على أن تُطبق هذه القوانين على الأرض العربية، وعلى ممثلي الدول العربية في المحافل الدولية.

٣- اعتماد مبدأ التعلم الذاتي

غني عن البيان أن طبيعة العصر القادم التفجرُ المعرفي والتطور السريع في مجال التقانة. ولما كانت المدارس والجامعات تزود الدارسين بأساسيات المعرفة ومفاتيحها

(٩) الدكتور محمود أحمد السيد- اللغة العربية وتحديات العصر- الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة- دمشق ٢٠٠٨ ص٩١.

فقط، كان عليهم كي يظلوا مواكبين روح العصر في تفجره المعرفي، أن يعتمدوا على أنفسهم في تلك المواكبة، ولا يمكنهم الاعتماد على أنفسهم إلا إذا كانوا مزودين بمهارات التعلم الذاتي، الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة.

ويتجلى هذا التعلم الذاتي في البحث عن مصادر المعرفة في الموسوعات ودوائر المعارف وأمهات الكتب والمعاجم، إن في مجال التخصص، أو في مجال الثقافة العامة. وتعد المطالعة الحرة سبيلاً لزيادة المعرفة، وسعة الاطلاع، وزيادة الخبرات، كما أن التقانات التربوية تساعد الباحثين في بحثهم، وتوفر لهم البيانات والمعلومات إن هم أحسنوا استخدامها، ووظّفوا معلوماتهم في تنمية مجتمعهم.

٤ – استخدام التقانات الحديثة

تؤدي التقانات الحديثة دوراً أساسيًّا في مواجهة العربية لمتطلبات العصر، ولابد من توظيف التقانة في خدمة اللغة العربية وفي مجالات تعليمها وتعلمها، إذ إن هذه التقانة قدّمت الآلات التعليمية وأساليب التعلم الذاتي باستخدام معامل اللغات والمعامل المصغرة والصور والأفلام وأجهزة العرض الحديثة والتلفزة التعليمية والحواسيب والشابكة (الإنترنت)، وبذلك أصبحت الفرصة مواتية في المجال التعليمي لتفريد التعليم، بحيث يتعلم كل متعلم وفق استعداداته، وسرعته الخاصة، وميوله واهتماماته، تحقيقاً لأهداف التعلم الذاتي، والتعلم المستمر، والتعلم من أجل الإتقان.

وفي عصر العلم والتقانة والمعلوماتية أضحت اللغة هي الوجود ذاته، وأصبح هذا الوجود مرتبطاً بثقل الوجود اللغوي على الشابكة (الإنترنت). وقديماً قال سقراط

لجليسه: «تكلَّم حتى أراك». أما اليوم فالشعار هو تحاور عن بُعد حتى يراك الآخرون وتراهم، ومن ثم ترى ذاتك أنت، وهي بعيدة عنك، ولصيقة القرب منك، في عصر بات فيه سؤال الهوية: من أنا؟ ومن نحن؟ مطروحاً بشدة على أوسع نطاق(١٠).

وغني عن البيان أن نسبة ما هو متوفر على الشابكة بالعربية إنما هي نسبة ضئيلة، وأن متطلبات العصر القادم تقتضي رفع هذه النسبة إذا أراد أصحاب هذه اللغة استمرار لغتهم، والحفاظ عليها، والتمكين لها في عصر التقانة.

٥- المرونة وتقبل التغيير

وهذا مطلب أساسي من متطلبات العصر القادم، إذ ما دامت طبيعة العصر القادم تتسم بالتغير السريع كان لزاماً على اللغويين أن يتسموا بالمرونة في تقبل التغير، فالتشدد اللغوي من جهة، والتمحل في استخدام اللغة، والتقعر في ذلك الاستخدام من جهة أخرى، ذلك كله ينفّر من اللغة، كما أن التشدد في وضع الأبدال والمقابلات لبعض المصطلحات الأجنبية التي أصبحت عالمية، وشاعت على الألسنة والأقلام، أضحى لا يخدم اللغة في توسعها وانتشارها وشيوعها.

ولا يقتصر الأمر على التشدد في الاستعمال اللغوي ووضع المصطلحات، وإنما جاوزه إلى التشدد في إلزام المعلمين اعتماد طريقة واحدة في أداء عملهم التدريسي، وهذا ما يعمل على تقييدهم وشلّ الابتكار لديهم. ومن هنا كان اعتماد أسلوب الانتقائية في الطرائق بحيث تؤخذ إيجابياتها وتتلافى سلبياتها، نهجاً يتطلبه العصر القادم.

---

(١٠) الدكتور نبيل علي ونادية حجازي- الفجوة الرقمية- عالم المعرفة- الكويت ٢٠٠٥ ص٣٠٦.

٦- العناية بالصناعة المعجمية

وتتجلى هذه العناية في العصر القادم بوضع معجمات عامة تجمع بين الأصالة والحداثة، ووضع معجمات نوعية في مختلف ميادين المعرفة على غرار المعجم الطبي الموحد، والمعجم الفلسفي، والمعجم التربوي والنفسي، ومعجم المعلوماتية...إلخ. على أن تجدد مضامين هذه المعاجم باستمرار، وأن تواكب التفجر المعرفي في كل اختصاص، وعلى أن تُنشر تلك المضامين على مواقع الشابكة (الإنترنت)، وأن توظف التقانة (التكنولوجيا) في صناعة تلك المعاجم وفي نشرها والترويج لها.

٧- اعتماد التربية في العمق تحقيقاً للإبداع والابتكار

لما كان العصر القادم هو عصر العلم والابتكار كان على أبناء الأمة أن يتزودوا بأساليب التفكير العلمي لمواجهة مقتضيات العصر، وبالمستويات المعرفية كافة، حتى يتمكنوا من توظيف المعرفة في واقع الحياة.

وإذا كانت التربية التقليدية تُعنى بالمستوى الأول من مستويات المعرفة حفظاً وتذكراً واسترجاعاً، فإن التربية المعاصرة تنتقل بالمتعلم من هذا المستوى الذي يعد من أدنى المستويات المعرفية إلى مستوى الفهم، ومن ثم إلى مستوى التطبيق، بحيث يكون المتعلم قادراً على تطبيق ما تعلمه في مجالات جديدة مما يجري في بيئته وحياته اليومية، وما يعرض له من مواقف.

ولم تتوقف عند هذا المستوى، وإنما جاوزته إلى مستوى التحليل والتركيب بحيث يكون الدارس قادراً على تحليل المواقف التي تُعرض له داخل المدرسة وخارجها ليرى إلى أي حدٍّ تراعى فيها الأفكار والمبادئ التي تعلمها، مع القدرة على

ابتكار أساليب جديدة، تتضمن استخدام هذه المعلومات، وأخيراً يجيء مستوى الحكم الذي يعد من أرفع المستويات. وفي ضوئه يستطيع الدارس أن يصدر أحكاماً على المواقف التي تعرض له بمقتضى ما تعلمه نقداً، واقتراحاً، وتجديداً[١١].

والتربية الفعالة هي التي تحقق المستويات السابقة كلها في العملية التعليمية التعلمية، وتركز على التربية الناقدة التي تميز بين الغث والسمين، في عصر اختلطت فيه الأوراق، واضطربت فيه المعايير، وامتزج السم بالعسل، والزيف بالحقيقة. كما أنها تعمل في الوقت نفسه على تفجير الطاقات الإبداعية لدى الناشئة حتى يتكيفوا مع الأوضاع الجديدة المتغيرة في عصر، يتميز بكثرة التغيرات وسرعتها المذهلة.

ولقد وُجد أن الإنسان يحقق ذاته في الإبداع، ومن خلال الإبداع، كما لوحظ أن النشاط الإبداعي يزود الناشئة بدافع داخلي يفوق في نوعيته وفعاليته جميع الدوافع الخارجية، وما النشاط الإبداعي إلا عملية تحليلية أولاً، فتركيبية ثانياً.

وتجدر الإشارة إلى أن من الأمور التي تؤدي إلى الإبداع تربية الإرادة القوية، والتعلم الاكتشافي، والتعلم الذاتي، والشك، والتعزيز، والتفاؤل، والتفكير المنظومي.

ولقد أشار جبران خليل جبران إلى أن مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع، فإن كان ذلك الفكر موجوداً كان مستقبل اللغة عظيماً كماضيها،

(١١) الدكتور محمود أحمد السيد– في قضايا التربية المعاصرة– دار الندوة للدراسات والنشر– دمشق ١٩٩٢ ص٣٨.

وإن كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها السريانية والعبرانية[١٢].

ويسأل: ما هذه القوة التي ندعوها قوة الابتكار؟ فيجيب: «هي في الأمة عزم دافع إلى الأمام، هي في قلبها جوع وعطش وشوق إلى غير المعروف، وهي في روحها سلسلة أحلام تسعى إلى تحقيقها ليلاً ونهاراً، ولكنها لا تحقق حلقة من أحد طرفيها إلا أضافت حلقة جديدة في الطرف الآخر.

وهي في الأفراد النبوغ، وفي الجماعة الحماسة، وما النبوغ في الأفراد سوى القدرة على وضع ميول الجماعة الخفية في أشكال ظاهرة محسوسة[١٣].

ويرى جبران أن خير الوسائل، بل الوسيلة الوحيدة لإحياء اللغة، هي في قلب الشاعر وعلى شفتيه وبين أصابعه، فالشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر، وهو السلك الذي ينقل ما يحدثه عالم النفس إلى عالم البحث، وما يقرره عالم الفكر إلى عالم الحفظ والتدوين. الشاعر أبو اللغة وأمها، تسير حيثما يسير، وتربض أينما يربض، وإذا ما قضى، جلست على قبره باكية منتحبة حتى يمر بها شاعر آخر، ويأخذ بيدها.

ويتابع جبران قائلاً: «إذا كان الشاعر أبا اللغة وأمها فالمقلد ناسج كفنها، وحفار قبرها. وأعني بالشاعر كل مخترع كبيراً كان أو صغيراً، وكل مكتشف قويّاً كان أو ضعيفاً، وكل من لم يقف متهيباً أمام الأيام والليالي فيلسوفاً كان، أو ناطوراً للكروم. أما المقلد فهو الذي لا يكتشف شيئاً، ولا يختلق أمراً، بل يستمد حياته النفسية من

(١٢) فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية– ص٣٧.

(١٣) المرجع السابق ص٣٨.

معاصريه، ويضع أثوابه المعنوية من رقع، يجزُّها من أثواب من تقدمه»[١٤].

ومن هنا كانت طبيعة العصر القادم تحتم على العربية:

أ- الاهتمام بالقراءة الناقدة.

ب- الاهتمام بالمناشط اللغوية اللاصَفِّية «مجلة المدرسة، مجلة الحائط، الإذاعة المدرسية، المناظرات، الحوارات واللقاءات، عقد الندوات، إلقاء المحاضرات، إجراء المسابقات...إلخ».

ج- الكشف عن المواهب.

د- العمل على تنمية الموهوبين والمبدعين وتربية الإبداع.

هـ- تكريم الفائزين والموهوبين والمبدعين في جميع المجالات والفنون الأدبية.

٨- إعداد الفرد للحياة

ثمة من يرى أن أفضل إعداد للفرد إنما هو الإعداد للحياة؟ فما المقصود بإعداد الفرد للحياة؟ إن خصائص العصر القادم تحتم على الفرد أن يكون قادراً على فهم بيئته التي يتفاعل معها، والسيطرة عليها، والانتفاع بها إلى أقصى حد ممكن، تحقيقاً لاستمرار نمو الفرد، والمجتمع، وازدهار البيئة.

إلا أن إعداد الفرد لا يقتصر على إعداده للمجتمع فقط، ذلك لأن المجتمع يُفهم عادة على أنه جسم ذو كيان مادي محسوس، وعلاقات مادية محسوسة، وقيم مادية محسوسة، أو نابعة من المادة. أما إعداد الفرد للحياة فذلك لأن الحياة هي الكينونة كلها بما فيها من جسد وروح، ومادة وفكر، ومن أعضاء ووظائف.

(١٤) المرجع السابق ص٤٥.

والمجتمع يفهم عادة على أنه مجتمع بعينه، محدود بحدود الزمان والمكان. أما الحياة فهي بغير حدود، وهي تيار مستمر يدخل فيه الماضي والحاضر والمستقبل، وهي تشمل هذا المجتمع، وذاك المجتمع، وكل مجتمع، أي تشمل المجتمع القومي خاصة، والمجتمع الإنساني بوجه عام(١٥).

وبهذا تكون الدعوة للحياة دعوة قومية ودعوة إنسانية معاً، ودعوة مادية وروحية، ودعوة اجتماعية وفردية. وتعليم اللغة وتعلمها ينبغي لهما أن يحققا تلك الدعوات لدى الفرد، وذلك من خلال النصوص التي يتفاعل معها الدارسون، على أن تُختار هذه النصوص في ضوء نسقين زماني ومكاني، إذ يحرص في النسق المكاني على الامتداد من الدائرة المحلية إلى الدائرة القومية، ومن ثم إلى الدائرة الإنسانية، بحيث تكتسب المناهج التعلمية ملامح الواقع المحلي، دون أن تنعزل عن الواقع القومي، ثم تنطلق من ذلك كله إلى الأفق الإنساني الواسع ليلتحم بالتجربة الإنسانية في قيمها الجمالية العليا، وإنجازاتها الحضارية المشتركة(١٦).

وإذا أردنا للغتنا العربية أن تستجيب لمتطلبات العصر القادم فإن على واضعي المناهج التعليمية أن ينتقلوا من الدائرة القطرية الضيقة إلى الدائرة القومية على الصعيد العربي، ومنها إلى الدائرة الواسعة، ألا وهي الدائرة العالمية، وأن يطلع المتعلمون على

(١٥) الدكتور لويس عوض– الاشتراكية والأدب– دار الآداب– بيروت ١٩٦٣ ص٨.

(١٦) الدكتور نهاد موسى– استعراض تجربتي عمان واليمن في تعليم اللغة العربية– اللغة العربية والتعليم رؤية مستقبلية للتطوير– مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية– أبو ظبي ٢٠٠٨ ص٤٠٥.

الآداب العالمية، في الوقت الذي يطلعون فيه على آداب أمتهم الماضية، والحاضرة، وتوجهاتها المستقبلية، وذلك بعد أن أصبح العالم قرية كونية.

٩- العناية بلغة الطفولة المبكرة والتعليم الأساسي

طالما رددنا القول: «العلم في الصغر كالنقش في الحجر»، وطالما أهملنا الطفولة المبكرة في حياة أمتنا مع أن الدراسات والبحوث العلمية أثبتت أن العصر الذهبي لاكتساب اللغة، لا بل أكثر من لغة، إنما هو في هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل. فإذا أردنا للعربية في العصر القادم أن تشيع وتُكتسب فَلْنَعْتَنِ برياض الأطفال والتعليم الأساسي، بحيث تكون مربيات الرياض ومعلمات التعليم الأساسي ومعلموها على درجة كافية وعالية من التأهيل والقدوة الحسنة في ممارسة اللغة.

وتجدر الإشارة إلى أن لغة الطفل هي الأساس في تعلم اللغة، إذ تتخذ نقطة انطلاق، وقد يقول قائل: كيف ننطلق منها وهي العامية؟ إن الانطلاق يكون بتصحيح ما فيها من تحريف مما يحوِّلها من عامية إلى عربية، بحيث يبذل الجهد لتهذيب هذه اللهجة العامية، ويزود الطفل بين الحين والآخر بكلمات عربية صحيحة، ترادف ما يستعمله من الألفاظ العامية، مع ملاحظة أن تكون قريبة في شكلها من عامية الطفل.

«ويبدو من الوهلة الأولى أن هذا النهج يتعارض مع وجوب طبع النشء على العربية السليمة منذ البداية، وليس هناك في الواقع أي تعارض، إذ إن المقصود هو جعل لغة الأطفال منطلقاً لتعليم العربية بتصحيح ما فيها من تحريف، وبهذا يتجمع للطفل رصيد لفظي من الفصيحة بأيسر السبل، على أن يزداد هذا الرصيد بما يدرسه

التلاميذ من قصص وأناشيد بعد ذلك بالعربية الفصيحة»[١٧].

١٠- تفصيح العاميات

مادامت العاميات في الوطن العربي مستعملة في التعبير عن الحاجات وتنفيذ المتطلبات، ومادام في هذه العاميات حيّز من الفصيح، كما أن بعض المفردات العامية تحتاج إلى تعديل طفيف في بعض حروفها حتى تعود إليها الفصيحة، كان الأمر يتطلب تفصيح هذه العاميات والارتقاء بها إلى مصاف الفصيحة، وفي ذلك خدمة للعربية في مستقبلها، ويؤثر هذا التفصيح إيجابيًّا في مسيرة الفصيحة.

١١- إعداد المعلمين الأكفياء

إن طبيعة العصر القادم تستلزم إعداداً رفيع المستوى للمعلمين كافة، على أن تزوِّد مناهج التأهيل والإعداد المعلمين بالتمكن من المادة ومهارات التواصل باللغتين العربية والأجنبية انسجاماً مع طبيعة العصر، وأن تُزوَّد البيئة التعليمية التعلمية بمختلف مصادر التعلم، وأن تكون ثمة مبادرات يقوم بها المعلمون لإغناء البيئة واستخدام التقانة في تيسير العملية التعليمية التعلمية، وعلى أن يركِّز المعلمون على ربط المعارف النظرية بالعملية، وعلى الجوانب التطبيقية، وتعليم المتعلم كيف يتعلم؟ وكيف يعتمد على ذاته في اكتساب المعلومات واكتشافها؟ وكيف يتعلم تعاونيّاً مع

(١٧) الدكتور محمود أحمد السيد- في طرائق تدريس اللغة العربية- مطبوعات جامعة دمشق- دمشق ٢٠٠٨ ص٢٧٨.

أقرانه ضمن فريق عمل، يقوم بإنجاز المشروعات وحل المشكلات؟[١٨]

ولابد أن يخضع المعلمون إلى دورات تدريبية مستمرة تجديداً لمعلوماتهم وأساليب تعليمهم، على أن تُستخدم العربية في تلك الدورات، وأن يستعملها المعلمون كافة، وليس الأمر مقتصراً على معلمي العربية وحدهم وإنما يشمل معلمي المواد كافة، مادامت اللغة وعاء المعرفة في جميع ميادينها.

١٢- حرية المعلم

إذا كانت التربية التقليدية تحد من حرية المعلمين، وتجبرهم على التقيد بالمناهج مضموناً، وطرائق تدريسية، وأساليب تقويم، فإن التربية الحديثة والمستقبلية تدعوان إلى حرية المعلم، فهو حُرٌّ في اختيار طريقة التدريس التي يراها ملائمة لتحقيق أهداف درسه، كما أنه حُرٌّ في اختيار النصوص الأدبية التي يراها مناسبة لمستويات الناشئة الذين يتفاعل معهم، وهو حر في اختيار أساليب التقويم الملائمة، على أن تكون هذه الحرية منظمة ومسؤولة في إطار الأهداف العامة للتربية في الدولة، ومنسجمة مع قيم الأمة وأصالتها، وتوجهاتها.

١٣- تفعيل المجامع اللغوية

لما كانت المجامع اللغوية هي المرجعية العليا في شؤون اللغة العربية كان عليها واجب متابعة القضايا اللغوية، والعمل على كل ما من شأنه حماية اللغة العربية، والعناية بها، ومعالجة مشكلاتها، والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها.

(١٨) الدكتور محمود أحمد السيّد- دراسات تربوية- الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة- دمشق ٢٠١٠ ص٨٤.

وإذا كان التفجر المعرفي سمة من سمات العصر، ويحمل هذا التفجر مصطلحات جديدة في مختلف ميادين المعرفة، كان على مجامع اللغة أن تتابع رصد هذه المصطلحات، ووضع البديل العربي لها قبل شيوعها وانتشارها على الألسنة والأقلام، ويصبح من الصعوبة بمكان محوها واستعمال البديل العربي المقابل لها. ومن هنا كان لابد من تفعيل عمل لجان مجامع اللغة العربية القائمة في الوطن العربي، وتفعيل عمل اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في سرعة البت، والتنسيق، مواكبة لمتطلبات العصر.

ومن متطلبات العصر القادم توسيع دائرة المجامع اللغوية في الوطن العربي، بحيث يعمل على إنشاء مجمع لغوي في كل دولة عربية يضطلع بدوره في الحفاظ على الفصيحة والارتقاء بواقعها.

١٤- الإكثار من جمعيات التمكين للعربية وحمايتها

طالما حمّلنا في كثير من ندواتنا ومؤتمراتنا المجامع اللغوية، أو وزارات التربية، مسؤولية تدني المستوى اللغوي، وطالما قذفنا الكرة من طرف إلى آخر، علماً بأن مسؤولية النهوض باللغة هي مسؤولية جماعية، وعلى جميع الأطراف أن تضطلع بدورها في مجال الارتقاء بالواقع اللغوي، وأن يكون ثمة تنسيق بينها في ضوء استراتيجية واحدة متفق عليها.

وتؤدي جمعيات التمكين للغة وحمايتها، وجمعيات أصدقاء اللغة العربية، دوراً أساسيًّا في العناية باللغة، والاهتمام بقضاياها، والعمل على سيرورتها وانتشارها، والحؤول دون التعدي على سلامتها. كما يؤدي العمل التطوعي دوراً هو الآخر في

الحفاظ على اللغة السليمة في مرافق المجتمع وقطاعاته.

ومن الملاحظ أن ثمة تقصيراً في هذه الجوانب في حياتنا المعاصرة، إلا أن العصر القادم يتطلب منا، بغية الحفاظ على موقع اللغة الفصيحة ومكانتها، الإكثار من جمعيات حماية العربية وأصدقائها ولجان التمكين لها، وتفعيل العمل التطوعي لخدمتها.

وإذا كنا نرى جمعيات لحماية البيئة وأصدقاء لها، تعمل على الحد من تلوث البيئة، والتخفيف من حدته، فإن التلوث اللغوي في البيئة جدير، هو الآخر، بأن تكون له جمعيات، تعمل على تنقية البيئة الاجتماعية من التلوث الفكري، والتلوث اللغوي، بعد أن استشرى هذا التلوث في مجالات متعددة، ولاسيما المجال الإعلامي، وعلى واجهات المَحالِّ التجارية، والخدمية، والسياحية، وفي اللافتات، والإعلانات.

وتقوم هذه الجمعيات أيضاً بالتوعية اللغوية، وتعزيز الانتماء إلى جانب عملها في الحفاظ على سلامة البيئة الاجتماعية من التلوث اللغوي.

١٥- العناية بالترجمة إلى العربية ومنها إلى اللغات الأخرى

إن من متطلبات العصر القادم العناية بالترجمة لأن ثمة قصوراً كبيراً في مجالاتها إن على مستوى تكوين المترجمين وتدريبهم، أو على مستوى ما يُترجم إلى العربية من اللغات الأخرى، أو ما يُنقل من العربية إلى تلك اللغات، أو على مستوى حماية حقوق المترجمين.

وتلافياً لهذه الثغرات كان لابد لمواكبة العصر القادم من وضع خطط للترجمة على الصعيدين المحلي القطري والقومي، والعمل على ترجمة الأعمال التي تهيئ لتعريب التعليم في الجامعات والمعاهد العلمية، وتوفير ما يحتاج إليه المدرسون

والطلاب في مختلف المجالات والتخصصات، وترجمة الدوريات الصحية، والأكاديمية، والتقانية، والبحوث، والرسائل الجامعية، تمشياً مع تدريس العلوم والتقانة باللغة العربية.

ولابد أيضاً من ترجمة المزيد من البرامج التلفزية التي تعمل على زيادة ثقافة المجتمع «برامج طبية، وصحية، وتوجيه أسري، وتعاون اجتماعي، وأعمال إنسانية، وأسرار كونية، وأسرار الصناعة...إلخ». وترجمة الأفلام والمسلسلات التلفزية المناسبة، والمزيد من برامج المعلوماتية وأنظمتها، والنشرات، والكراسات الملحقة بالأجهزة، والأدوات، والمواد المستوردة[١٩].

وإذا كان العصر القادم يتطلَّب الترجمة إلى اللغة العربية فإنه يتطلب أيضاً تعريف الآخرين من أبناء اللغات الأخرى بالحضارة العربية، وما أسهم به العرب في مسيرة الحضارة الإنسانية، ولابد من نشر روائع القيم الإنسانية في الثقافة العربية، وإطلاع الآخرين عليها لمواجهة سيرورة القيم المادية وانحسار القيم المعنوية والإنسانية من العالم. وتلك هي مسؤولية أبناء الأمة العربية، ولَكَمْ هم مقصرون في هذا المجال إلى جانب تقصيرهم في ترجمة ثمرات العقول العالمية إلى العربية!

١٦- الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية

إن العناية بالترجمة إلى العربية، ومنها إلى اللغات الأخرى، تستلزم الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية، لأن إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب إتقان اللغة العربية

(١٩) الدكتور محمود أحمد السيّد- اللغة العربية واقعاً وارتقاء- الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠١٠ ص١٠٤.

يسهم أيما إسهام في إغناء اللغة العربية، وينسجم مع مقتضيات العصر القادم، ويحقق الربط الوثيق بين الأهداف القومية والإنسانية معاً، إذ من الأهمية بمكان تعلم اللغات الحية لِتَعَرُّف منجزات التقدم الإنساني، دون أن يعني هذا إهمال لغتنا القومية، أو يكون مدعاة للشعور بالدونية تجاه الآخرين.

وإن الدعوة إلى تمكين العربية في المستقبل ليست ضد تمكين اللغة الأجنبية، فالحاجة إلى إتقان لغة أجنبية عالمية أو أكثر من لغة هي ضرورة ثقافية ومطلب حضاري أساسي لكل مثقف عربي أو غير عربي، مهندساً كان، أو طبيباً، أو خبيراً زراعيًّا، أو صناعيًّا، ليبقى على اتصال بمنجزات الركب العلمي في مجال اختصاصه، والوقوف على آخر ما توصَّل إليه نظراؤه في العالم من حوله(٢٠).

تلك هي بعض الإجراءات لمواجهة تحديات العصر القادم، ولسنا في مجال الحصر، وإنما هي بنود قليلة من الإجراءات، وغيض من فيض، مما ينبغي لنا عمله تجاه الارتقاء بواقع لغتنا العربية في العصر القادم. وما من ريب في أن ما يجب عمله كثير وكثير، ومالا يدرك كلُّه لا يترك جلُّه، وكلنا أمل في أن تتبوأ لغتنا الأم «العربية الفصيحة» المكانة الجديرة بها في مستقبل الأيام، وأن يتوفر لخدمتها أبناء بررة، لأنها الشيء الوحيد الذي بقي في أيدينا على حدّ تعبير أستاذنا الدكتور عبد الكريم اليافي رحمه الله:

لم يبقَ شيء بأيدينا سوى لغة نصونها بسواد القلب والهدب

(٢٠) المرجع السابق ص١٠٥.

مراجع البحث

١- عبد الله عيسى- أهم عشر تقانات استراتيجية- مجلة المعلوماتية الصادرة عن الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية بدمشق- السنة السابعة- كانون الثاني ٢٠١٢ العدد ٧١.

٢- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية- منشورات وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠٠٣.

٣- الدكتور لويس عوض- الاشتراكية والأدب- دار الآداب- بيروت ١٩٦٣.

٤- محمد الخضر حسين- دراسات في العربية وتاريخها- منشورات المكتب الإسلامي- مكتبة دار الفتح- المطبعة التعاونية في دمشق- دمشق ١٩٦٠.

٥- الدكتور محمود أحمد السيّد- في قضايا التربية المعاصرة- دار الندوة للدراسات والنشر- دمشق ١٩٩٢.

٦- الدكتور محمود أحمد السيّد- اللغة العربية وتحديات العصر- الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠٠٨.

٧- الدكتور محمود أحمد السيّد- في طرائق تدريس اللغة العربية- مطبوعات جامعة دمشق- دمشق ٢٠٠٨.

٨- الدكتور محمود أحمد السيّد- دراسات تربوية- الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠١٠.

٩- الدكتور محمود أحمد السيّد- اللغة العربية واقعاً وارتقاء- الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠١٠.

١٠- الدكتور نهاد موسى- استعراض تجربتي عمان واليمن في تعليم اللغة العربية- اللغة العربية والتعليم رؤية مستقبلية للتطوير- مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية- أبوظبي ٢٠٠٨.